التوليـد الدّلالـي في ألفـاظ الثـورة بديوان اللـهب المقدس للشاعـر مفدي زكـريا

د. مليكة خذيري
جامعة باتنة

الملخـــــــص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ظاهرة التوليد الدلالي عند شاعر الثورة الجزائري مفدي زكريا، وأثرها في تنمية لغة معجمه وتطويرها وإثرائها، نتيجة للدلالات الجديدة التي استنتجتها واستنبطتها من خلال ما ورد من ألفاظ وتراكيب دلت على الثورة، آخذة بعين الاعتبار السياقات التي وردت فيها، ومدى قدرة الشاعر على خلقها وإبداعها، مبرزة تحكمه في اللغة وأسرارها بطريقة مميزة جعلته إلى جانب الموهبة يتقن ملكة الشعر، ويعمل على تطويعها والسمو بإبداعاته إلى درجة راقية ممّا سمح له بالتربُع على عرش الشعر والابتكار.

Résumé :

Cette étude vise à mettre en évidence le phénomène de la sémantique générative chez le poète de la Révolution Algérienne Moufdi Zakari ainsi que son impact sur le développement du lexique. Cela, en raison des nouvelles tendances sémantiques puisées dans les structures qui portent sur la Révolution et qui tiennent néanmoins compte des contextes d'origine et des compétences créatrices du poète. Compétences qui soulignent sa maitrise des secrets de la langue et son immense talent scriptural.

مقدمـــــــة:

لكل شاعر من الشعراء طريقته الخاصة في صياغة النص كل حسب تصوره ومقدرته على الخلق والإبداع، والتعاطي مع أنظمة اللغة مما ينتج عنها نصوص تمتطي صهوة الإبداع والتألق وترتفع إلى درجات عالية في سلّم

الشعرية، ومفدي زكريا أحد أولئك الشعراء العظام الذين استطاعوا ببراعة، وعبقرية أن يتبوءوا عرش الشعر ويتربّعوا على كرسيه بتميّز، حيث استخدم تقنيات عدة وأدوات متنوعة في إنتاج دلالات إيحائية جعلت من نصوصه الشعرية قلبا نابضا يسري في أرجاء النص ويهب له الخلود.

ولقد أجمع الدارسون لسيرته أنّ أصله يعود إلى "آل الشيخ" وهو من مواليد أبريل 1908(ببني يزقن) ؛ وهي قرية صغيرة في مدينة غرداية السياحية بالجنوب الجزائري. تعلم القرآن وهو صبي وحفظه عن ظهر قلب بمسقط رأسه، وجال في مدن عدة مع أبيه التاجر، سافر إلى تونس وتخرّج من جامعة الزيتونة[1] كما مارس السياسة منذ أوائل الثلاثينات؛ حيث كان عضوا في جمعية طلبة شمال إفريقيا، وحزب جبهة التحرير الوطني، وحزب الشعب[2]، ولقد زُجَّ به في السجن خمس مرّات ابتداء من سنة 1937 إلى غاية سنة 1959، وكان رئيس تحرير صحيفة حزب الشعب، ولقد كرّس شعره لخدمة الثورة الجزائرية، وتغنّى بها، وحثّ على الجهاد، وحب الوطن وتقديسه والدفاع عنه بالغالي والنفيس، وخلّد ذكرى الشهداء، وناضل من أجل تكريس الوحدة الوطنية، وشارك في عدة تظاهرات شعرية باسم الجزائر في بعض الدول العربية مثل لبنان، سوريا، ومصر، والمغرب الأقصى، وبقي يتنقل بين تونس والمغرب والجزائر، إلى أن وافته المنية في 16 أوت 1977 بمدينة تونس، ودفن بمسقط رأسه في مدينة غرداية[3].

---

[1]– محمد ناصر، **مفدي زكريا شاعر النضال والثورة**، ص 71، وينظر أيضاً يحي الشيخ، **شعر مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية**، ص 38_39.

[2]–ينظر المرجع نفسه، ص 37–38، وينظر أيضا اللهب المقدس ص 32.

[3] – محمد ناصر، المرجع نفسه، ص 71، وينظر ايضاً يحيى الشيخ صالح ، **شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية**، ص 38، 39 .

تأثّر مفدي زكريا بالقرآن الكريم، وبالثقافة الدينية التي تلقاها في صغره، وانعكست على شعره، كما تأثر بفحول الشعراء كالمتنبي وابن زيدون وأبي فراس وأبي تمام والمعَّري والبحتري والشابي، وتميّز شعره بصدق العاطفة وبلاغة الأسلوب، وجزالة اللغة، وبقدرة كبيرة على توليد الصور والأخيلة من الأحداث والوقائع والشخصيات، وتدل الصورة الشعرية عنده على إطلاع واسع، ومعرفة فنية بالدَقائق والتفاصيل[1].

عاش أحداث بلاده في السجون والمعتقلات، وشاهد رؤوس الفدائيين تقطّع في ساحة سجن "بربروس" ، فجمع فيه شعر الثورة إبتداء من سنة 1953 إلى غاية سنة 1961، واحتوى سبعا وخمسين قصيدة ومقطوعة من أبرزها " أناشيد النضال والثورة " ، ونشيد " قسما بالنازلات الماحقات " الذي كتب معظمه بدمه على جدران سجنه، ونشيد " جيش التحرير " وغيرها، طبع " اللهب المقدس " ثلاث مرات، وطغت فيه الألفاظ الدَالة على الثورة، والجهاد، حيث أبدع وأتقن تاركا المجال للقارئ والباحث ليستعمل فكره وخبرته وليؤول ويمحَّص ويدقّق، ويفكَّ الرموز المشفرَّة حتى يصل إلى برّ الأمان.

مشكلـة الدراسـة:

ولقد تأسست إشكالية الدراسة في طرح الأسئلة الآتية:

1- كيف يمكن لمتلقي شعر مفدي زكريا أن يدرك التوليد الدَّلالي في شعره؟

2- ما هي السبل التي يجب إتباعها للوصول إلى فهم الدَّلالات؟

3- ما هي الفائدة من التوليد الدَّلالي بالنسبة لمعجمه اللغوي؟

وللإجابة على هذه الاسئلة اعتمدت الدَّلالة المعجمية للفظة، ثم نقلت هذه الدَّلالة إلى السياق الذي وردت فيه، ومن خلال السياق كشفت عن الدَّلالة الجديدة للفظة في توظيفها عن طريق المجاز والكناية.

[1] – المرجع السابق، ص 50.

الهدف من الدراسـة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد ظاهرة التوليد الدَّلالي في ألفاظ الثورة ضمن " اللهب المقدس" لمفدي زكريا، ووصفها وتحليلها، والتركيز على دورها في إثراء لغة معجمه، وتطويرها وإنعاشها،والوصول من خلال ذلك إلى دلالات جديدة لم تكن متوقعة، ومحاولة إثبات صحيّة هذه الظاهرة، التي تعطي قيمة دلالية لبعض الوحدات المعجمية، وتسمح لها بالدُخول في سياقات جديدة لم تكن تعرفها في السابق، والمساهمة بشكل مباشر في إنشاء معجم تطوّري للغة العربيـة.

أهميـة الدراســة:

تكمن أهمية الدراسة في التركيز على تطبيق مفهوم التوليد الدَّلالي المفضي إلى التأويل في بعض المقتطفات من خلال الألفاظ والتراكيب الدَّالة على الثورة ضمن ديوان " اللهب المقدس "، لشاعر الثورة الكبير مفدي زكريا، لوجود فجوات، وتساؤلات تجعل القارئ يسعى إلى الإجابة عنها وتقريبها إلى ذهن القارئ من خلال التأويل وهو إبداع ثاني.

منهجيـة الدراسـة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التأويلي معتمدة على العديد من أمهات المراجع سواء أكانت باللغة العربية أو الأجنبية وحاولت غربلتها، والاستفادة منها، واضعة الألفاظ والتراكيب والصيغ الدَّالة على الثورة في مجموعة كبرى كما يلي:

– مجموعـة الألفاظ والتراكيب والصيغ الدَّالة على الثورة، الجهاد، والتغيير، والمضي قدما، والتطلع إلى غد أفضل.

التراكيـب الـواردة فـي الديـوان:

1- الشعب يسبح للعليا على دمه، وللتبرّع بالأرواح يستبق. (ص27)
2- وفي الشعب بركان إذا ما انشق صدره، تلقّف ملكا عرشه فوق بركان. (ص23)
3- فمضى الشعب بالجماجم يبني أمّة حرة. (ص15)
4- شعب دعائمه الجماجم والدم ، تتحطّم الدنيا ولا يتحطّم . (ص24)
5- وهزّت ثورة التحرير شعبا (ص36)، واهتزّت أرض الكنانة، فاهتزَّت الدُنيا وضجَّ النّير. (ص60)
6- وأقضّ في أرض العراق المضجعا، وارتجَ في الخضراء شعب ماجد، لم تثنه أرزاؤه أن يفزعا(ص60)
7- كسرت تلمسان الضليعة ضلعه، ووهى (بصبرة) صبره فتوزّعا. (ص66)
8- دعاه (مسعود) فأدبر عندما، لاقاه (طارق) سافرا ومقنعا. (ص66)
9- وتكلّم الرشاش جل جلاله.(ص134)
10- بين أضلعها آباؤنا الصيدا. (ص263)
11- واغضب غضب ليث (القتال). (ص347)
12- وأحفظ لمصر (قناة) في حشاشتها، جرى بها قبل أن يجري البخار دمُ. (ص299)
13- سلْ جرجرا تنبئك عن غضباتها. (ص66)
14- يقف السلاح بها خطيبا مصقعا . (ص57)
15- ورثنا عصى موسى، فجدّد صنعها حجانا.(ص316)
16- فكانت لإبراهيم بردا جهنّم، فعلمنا في الخطب أن نمضغ الجمرا. (ص306)
17- وكلم الله موسى في (الطور) خفية، وفي الأطلس الجبار كلّمنا جهرا. (ص306)
18- وأصدع بثورتك الزمان وأهله، وأقرع بدولتك الثرى والمجمعا.(ص57)
19- وأعقد لحقّك في الملاحم ندوة، يقف السلاح بها خطيبا مصعقا. (ص57)
20- كم عصفنا بالجبابر.(ص98)
21- ثورة التحرير مدي لبني الجيل يدا (ص98)، ثورة الفكر غدا .(ص99)

22-	وطن عبّدت بالأشلاء طرقا، وتجلى يملأ الدنيا دويًّا.(ص128)
23-	رعنا الليالي الحبليات فأجهضن.(ص306)
24-	شموع البلاد في ظلمة الليل، عهد الظَّلام في الشعب طالا. (ص187)
25-	فَفي الجَزَائر (حيفا) و(الخَليل)، في الجزائر جرح العُرب يلتئم. (ص303)

إنّ المتأمّل في معجم مفدي اللغوي من خلال هذه المجموعة، يلاحظ أنه وظّف المجاز واستعمل ألفاظا في غير مواضعها، وفي غير سياقاتها، أنتجت لنا معاني جديدة عملت على إثراء لغة معجمه وتنويعها وتقويتها، إلى جانب هذا استعان بالكناية، التي نستطيع من خلالها استنباط دلالات جديدة عبّر عنها بطريقة غير مباشرة، أبرز من خلالها قدرته، في خلق معاني جديدة لم تكن معروفة لدى القارئ، زادت إبداعاته رونقا وجمالا، حيث ورد والشَّعْبُ يَسْبَحُ للعليا عل دمه، وللتَّبَرُّع بالأرواح يَسْتَبِقُ،[27] ويَسْبَحُ صيغة فعلية مستندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر من السباحة معروفة مألوفة، وللتبّرع بالأرواح، صيغة اسمية من تبرّع بمعنى أعطى من غير سؤال[1] والأرواح جمع روح، وقال الله سبحانه وتعالى: " ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[2]، ويستبق، صيغة فعلية كذلك مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر وفي التنزيل الحكيم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[3] الأصوات معظمها قوية ومعبرة، وصف من خلالها الشاعر مدى تهافت الفدائيين على ميدان التحرير باذلين النفس والنفيس في سبيل

[1]- المعجم الوسيط، (مادة برع) ص 50، واللهب المقدس، ص 27

[2]- سورة الإسراء، الآية 85.

[3] - سورة يوسف، الآية 17

الوطن، حيث قال مستعملا المجاز، لأن يَسْبَحُ في دَمه وردت في غير مكانها ،نستنبط منها تفاني الشعب في طلب الشهادة فقال:

والشَّعْبُ يَسْبَحُ للعُليا على دمه *****وللتَّبرُّع بالأرواح يَسْتَبَقُ (27)

والشاعر لا يقصد السباحة بالمعنى المتعارف عليه، لأن السباحة عادة تكون في مياه البحر وليست في برك الدّماء، ولكنه يقصد كثرة الدماء المتدفّقة الطاهرة الزكية المنعشة التي طهّرت الأرض والعرض، وأذلّت الأعداء وقهرتهم، وللشهيد مكانة مرموقة عند الله سبحانه وتعالى حيث قال في الذكر الحكيم: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، والشاعر هنا يريد لفت الانتباه إلى الأعداد الهائلة من متعطشي الحرية ، الذين تدفّقوا إلى ساحة القتال، وأهدروا دماءهم من أجل العزة والكرامة.

وجاء وفي الشَعْب بُرْكان[23]، وكذا انشَقَّ صَدْرُهُ[23]، وتَلَقفَ مُلْكًا[23]، وعرشُهُ فَوْقَ بُرْكان[23]، عبارة عن صيّغ اسمية وفعلية، أصواتها قوية لأن المقام يتطلّب ذلك، معانيها معروفة لدى القارئ، استعمالها في غير مواضعها، وانشق بمعنى انْصَدَع[2]، وقال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[3] وتلقّف بمعنى بَلَعَ الطَعام[4]، وجاء في التنزيل العزيز: "﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[5] ولقد وظف الشاعر المجاز في معظم هذه الألفاظ ليصف من خلالها حالة الغليان والكبت التي يعيشها الشعب نظرا للضغوطات التي يعاني منها، وسوء الوضع وعدم قدرة التحمل ونفاذ الصبر

---

[1]- سورة آل عمران الآية 169

[2]- المعجم الوسيط ، (انشقّ) ، ص 488.

[3]- سورة القمر الآية 1.

[4]- ابن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة، مادة (لقف)**، ط1، دار صادر، بيروت 1992 ، ص570.

[5]- سورة الأعراف الآية 117.

أمام الاستفزاز الذي يلاقيه من طرف الأعداء، وتجاوز كل المعايير والحدود الحمراء، إلا أن الوضع سيتغيـر والانفجار آت فقال:

وفي الشَعْب بُرْكَانٌ إذَّا مَا انْشَقَّ صَدْرُهُ ***** تَلَقَّفَ مُلْكا عَرْشُهُ فَوْقَ بُرْكَان(23)

ومفدي زكريا ليس بصدد الكلام عن البركان بالمعنى المتعارف عليه، وهنا كناية عمّا آل إليه الوضع من حالة هيجان ،وثوران يعيشها الشعب ،فظروفه القاسية تحوّلت إلى قنبلة موقوتة ستحدث هلعا وزلزالا متى انفجرت، وهذا تهديد ووعيد للعدّومن جهة ، وشحذ للهمم وإثارة الحماس من جهة أخرى ،لأن الأعداء سوف لن تهدأ أحوالهم، فالإعصار آت وهوعنيف ومدمّر سيهدم أركان حكمهم المغشوش الذي بنيت ركائزه على الظلم والبطش والابتزاز وهذه معاني جديدة أضافها الشاعر لمعجمه اللغوي.

واستعمل فمَضَى الشَّعْبُ بالجَمَاجم يَبْنِي أُمَةً حُرَةً[15]، صيغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر المعاني معروفة ومألوفة، والجماجم من جمجمة وهي عظام الرأس، واستعمالها ورد مجازا ليعبّر من خلالها على التضحيات الكبار التي قدّمها الشعب الجزائري لنيل الكرامة والحرية، والتدافع الكبير على ميدان الفداء دون تردّد لأداء الواجب النبيل، وهذه دلالة جديدة أضافها مفدي لمعجمه اللغوي فقال متغنّيا بسخاء شعبه الذي أهدى أجساده لنيل العزة.

فمَضَى الشَّعْبُ بالجَمَاجم يَبْني ***** أُمَةً حُرَةً وعزًّا وطيدا(15)

وعدد القتلى لا نستطيع إحصاءه وعدّه، فالكل زحف إلى الجهاد دون تروي، ولاتردّد بطريقة عفوية، وبدون تخطيط، لأن الواجب ناده، فهل هناك مجال للرّفض.

وفي نفس المعنى، قال الشاعر العراقي مهدي الجواهري ممجّدًا أبناء وطنه، ومفتخرا بهم وبشجاعتهم:

شَعْبٌ دَعائمه الجماجم والدَّم تتحطّم الدّنْيَا ولَا يَتَحَطَم[1]

وورد وهزَّت ثَوْرَة التحرير شَعْباً، وينْصَبُ انصبابا(36)، صيّغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، والمفرد الغائب المذكر، أصواتها قوية تنّم عن رد فعل شديد وعنيف ومنتظر، وهزّ بمعنى بشيء من القوة[2]، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[3]، وينصب من انصبّ نقول انصبّ الماء انسكب، وانصب الباز على الصيد انْقَضَّى[3]، ولقد شبّه الشاعر انقضاض الشعب على أعدائه، وسحقهم والبطش بهم بانقضاض النسر والباز على الصيد والتهامه وهذه دلالة جديدة أضافها الشاعر لمعجمه اللغوي فقال يصف بطولات قومه:

وهزَّت ثَوْرَة التحرير شَعْباً ***** فهَبَّ الشَعْبُ ينْصَبُ انصبابا (36)

وهذا الانقضاض هو تحدي، وكسر شوكة الأعداء نتيجة للشجاعة الأسطورية التي امتاز بها أبناء الجزائر إبّان الثورة المجيدة، ومازالت تُلْهم أبناء المعمورة ويتغنّى بها في كل المحافل والمعاقل، وهي قدوة لكل الأجيال.

ووظّف واهْتَزَّ في أَرْض الكَنَانة خَافق(60)، وأقضّي في أَرْض العراق المضجعا(60)، عبارة عن صيّغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، واهتزّ بمعنى تحرّك[4] وجاء في الذكر الحكيم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ

[1]- ديوان محمد مهدي الجواهري ص 24.

[2]- المعجم الوسيط ،(هزّ)ص 984.

[3]- المرجع نفسه ،(انصب)ص 505.

[4]- الزمخشري، أساس البلاغة ،(اهتزّ)ص 700.

نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]، وأقضّى بمعنى لم يطمئن، ولَمْ يَنَم[2]، الأصوات قوية ومزلزلة، استعملها الشاعر ليصف من خلالها مدى الزلزال والدّوي الذي أحدثته ثورة الجزائر، فاهتزّت لها أرجاء الكون، وارتعشت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وعملت على قلب الموازين، وهذه دلالات جديدة أضافها مفدي إلى معجمه اللغوي فقال مترنّما بثورة الجزائر:

واهْتَزَّ في أَرْض الكَنَانة خَافق ***** وأقضّى في أَرْض العراق المضجعا(60)

فثورة الجزائر هزت الدنيا، وزلزلت الكون، ووجدت الشعوب المستضعفة ضالتها فيها، واقتدت بها، واحتضنتها، وقدّستها الإنسانية لأن أركانها العدل، وسحق الظلم والعبودية، ونشر ثقافة الحرية والمساواة، فقيمها نبيلة وشريفة، فمن خلالها هُزم الاستعمار في معظم أرجاء المعمورة لأنها ملحمة وأسطورة خالدة.

وجاء قوله أيضاً وارتجّ في الخضراء شعب ماجد(60) لم تثنه أرزاؤه أن يفزعا(60) ، صيّغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وارتجّ بمعنى اهتزّ وتحرك والبحر اضطراب[3]، والشاعر باستعماله لهذه الأصوات الانفجارية القوية لا يقصد الحركة الطبيعية للأشياء، ولكنه يتكلّم عن ردّة الفعل الذي أحدثته الثورة الجزائرية في الداخل والخارج، ومدى تأثيرها في الكون كله، وهذه كناية على عظمتها وانفرادها فساندها الأشقاء وهللّ لها الأصدقاء، وهذه معاني جديدة أضافها الشاعر لرصيده اللغوي أظهر من خلالها قدرته على التحكم في أسرار اللغة مما زاد إبداعاته تنوعا فقال:

---

[1]- سورة الحج الآية 5.

[2]- المعجم الوسيط، (مادة أقضّى)ص 742.

[3]- المعجم الوسيط ، (ارتجّ) ص 329.

وارْتَجّ في الخَضْرَاء شَعْب مَاجد *****لَمْ تُثْنـه أَرْزَاؤُهُ أَنْ يَفْزَعـا(60)

إن ثورة الجزائر ألهمت الشعوب، وجعلتهم ينبهرون بها، ويمجّدونها ويتّخذونها قدوة حسنة، والجميع انحنى أمامها نظرا للإنجازات الخيالية التي افتكّتها من مخالب المستعمر، والملاحظة هنا أنني عندما قرأت مثل هذه الأبيات من ديوان " اللهب المقدس " بدت لي للوهلة الأولى أنها من السهل الممتنع، وعند التمحيص وجدت نفسي أكْتَشفُ معاني لم تخطر على البال ، فلابد من التخمين، والتدقيق لمحاولة الوصول إلى مكنونات شعره ومعانيه التي زادته رونقا وتميزا وجمالا، وتنوعا.

واستعمل شُمُوع البلاد في ظُلْمَة اللَّيْل(187)، وعَهْدُ الظَّلَام في الشَعْب طَالا(187)، صيّغ اسمية مضافة، والظلمة هي السواد، والشاعر مزج بين النور والظلام ليرسم التناقض الموجود في المجتمع وما تطمح له نفسه من مستقبل مشرق، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطاغوت يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] وباقي الألفاظ معروفة، وبمناسبة افتتاح المؤتمر الرابع للطلبة بدار الشغالين بتونس في 26 يوليو 1960[2] تغنّى الشاعر بهذه الطبقة المثقفة والمعوّل عليها لإنارة الطريق، ورسم الغد المشرق فقال مستعملا التشبيه ومعتبرا الطلبة مثل الشعلة التي ستبدد الظلام الحالك، وهذا معنى جديد أضافه مفدي لمعجمه اللغوي فقال:

يَا شُمُوع البلاَد في ظُلْمَة اللَّيْـ ***** ـل وَعَهْد الظَّلاَم في الشَعْب طَالا(187)

وفي نفس الصدد قال أبوالفراس الحمداني معتبرا نفسه شعلة مضيئة :

سَيُذكرُني قَوْمي إذَّا جَدَّ جدُّهُمْ *****وفي اللَّيْلَة الظَلْماء يَفْتَقد البَدْر[3]

---

[1]- سورة البقرة الآية 257.

[2]- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص 185.

[3]- ديوان أبي فراس ص 50.

ومفدي معوّل على هذه الفئة الواعية لإنارة العقول، وتعبيد الطرقات والقضاء على الجهل المطبق والانحطاط، وشحذ الهمم، وتربية الأجيال ونشر العلم والمعرفة، والتوعية لما يحاك لهذا الوطن من مؤامرات والقضاء على التخلف الذي استشرى في المجتمع، وتقويم ما أفسده الأعداء فبالعلم ينهض المجتمع.

وهذه معاني جديدة أنتجها مفدي وجعلها تضفي على معجمه اللغوي مزيدا من الجودة والتنوع والإبداع.

وورد فَفي الجَزَائر (حيفا) و(الخَليل) [303]،وفي أرض الجَزَائر جُرحُ العرب يلتئم[303] ، وحيفا والخَليل مدن فلسطينية احتلتها إسرائيل وبسطت عليها نفوذها، وجرح العرب صيغة اسمية مضافة، ويلتئم، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، معناه معروف وهو الشفاء، الأصوات بين الرخاوة والشدة، والاستعمال مجازي، ومرة أخرى تغنى بثورة بلاده وانعكاسها على الشعوب المتضررة، فهذه الثورة المجيدة انتقمت على أرضها لأبناء فلسطين السليبة وأشفت غليلهم بالوكالة، وضمّدت جرح العرب العميق من خلال الانتصارات العظام، فهي عزاء العرب نظرا لما لحق بفلسطين وبيت المقدس التي استولى عليها الصهاينة وامتلكوها عنوة فقال كناية على عظمة ثورته:

ففي الجزائر (حيفا) و(الخليل)وفي ***** أرض الجزائر جرح العرب يلتئم (303)

فثورة الجزائر ردّت الاعتبار لفلسطين المقهورة لأن المصير واحد والهدف واحد والعدو واحد، ولقد جسد الرئيس الراحل هواري بومدين ما قاله مفدي في مقولته الشهيرة:" نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة". وهنا دليل آخر على تبني الشعب الجزائري لقضية فلسطين، باعتبارها قضية وطنية لابد من النضال من أجل استرجاع الوطن المسلوب والمغتصب.

وجاء كَسَرَت تلمسان الضّليعَة ضلْعَهُ(66)، ووَها (بصَبْرَة) صَبْرَه فَتَوزَّعَا(66) عبارة عن صيّغ اسمية، وفعلية، والضليعة بمعنى القوية والشديدة[1]، والضلع عظم من عظام القفص الصدري منحني[2] فيه عرض ووها حمل معنى سقط ووهن[3]، وصبره معناها معروف، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوأَدْنَى بِالَّذِي هُوخَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[4]، استعمل الشاعر الكناية ليعبر مجازا عن الشجاعة الأسطورية التي امتاز بها أهل تلمسان على غرار باقي المدن الجزائرية، وهذا معنى جديد استنتجته مما استعمله الشاعر من ألفاظ أبرز من خلالها قدرة كبيرة على الابداع والفن فقال:

كَسَرَت تلمسان[5] الضَليعَة ضلْعَهُ*****ووَهَا (بصَبْره)[6] صَبْرَهُ فتوَزَعَا(66)

جعل الشاعر مدينة تلمسان تنوب عما يجري في أرض الجزائر من شمالها إلى جنوبها ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فمثل هذه الملاحم نادرة لا نجدها إلا في الخيال ولكنه واقع فرضه شعب متعطش للحرية.

ووظّف ودَعَاهُ (مسعود) فَأَدْبَر عنْدَما(66)، لاقَاهُ (طارق) سَافرًا ومُقنعًا، معظمها صيّغ فعلية، مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، معانيها معروفة

---

[1]- المعجم الوسيط ،(خلع)ص 542.

[2]- المرجع نفسه ،(خلع)ص542.

[3]- المرجع ذاته ،(وهن)ص1060.

[4]- سورة البقرة الآية 61.

[5]- تلمسان مدينة في الغرب الجزائري نسب إليهم قوم منهم أبو الحسن خطاب أحمد بن خطاب بن خليفة التلمساني، ورد بغداد سنة 520هـ، وكان جيد الشعر، معجم البلدان (تل) ج2 ص 44.

[6]- صبرة: قرية قرب الحدود المغربية، استعملها المجاهدون كمعبر وملجأ، ينظر اللهب المقدس ص 66.

ومستساغة، وأدْبر بمعنى هرب[1]، وسافرا بمعنى منكشف عكس مقنّع، عبّر على اتساع رقعة الثورة مستعملا الكناية للدلالة على المشاركة الجماهيرية وبدون استثناء في الثورة فقال:

ودعَاهُ (مسعود)[2] فَأَدْبَر عنْدما*****لاَقاَه (طارق)[3] سافرا ومقنّعا(66)

للدلالة كذلك على وقفة كل الجزائريين كرجل واحد على اختلاف أشكالهم وألوانهم، أمام الطاغوت، وعدم تقاعسهم، وهذا الصمود ساهم في إرصاء وحدة الوطن والهدف والمستقبل.

واستعمل وتَكَلَّم الرَشَاشُ جَلَّ جلاَلُه(134)، فاهتَزَت الدنيا وضَجَّ النير(134)، صيّغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر والمفرد الغائب المؤنث، والرشاش سلاح معروف، الأصوات قوية، واهتزَّ من الاهتزاز بمعنى الحركة العنيفة، وضجَّ من الضّجيج والصّخب، والنيرّ بمعنى القيود، الألفاظ هنا وردت مزلزلة وعنيفة، والاستعمال مجازي فالرشاش لا يتكلّم بالمعنى الحقيقي ولكنه هو الفيصل، ولهذا السبب استعمل مفدي عبارة جّل جلاله، لأن الرشاش فصل في الموضوع وأفتى، وأربك العدو، وأحدث هلعا وتفككا في صف الأعداء، استجاب له الأسرى، ولبوا النداء، وكسروا السلاسل، وهبّوا للدفاع عن الأرض والعرض، قال مفدي مثنيا على ثورة بلاده، مبدعا معاني جديدة، نظرا لتمكنه من لغة الضاد وأسرارها:

وتَكَلَّم الرَّشَاش جَلَّ جَلاَلُه*****فاهْتَزَت الدُّنيا وضَجَّ النيرّ(134)

ونظرا لهول المعركة وقداستها، لأن هدفها إعلاء كلمة الحق، والرشاش وحده يقلب الموازين ويحسم المؤامرة ويطيح بها، ويعيد الأمور إلى نصابها، ويرجع الحق إلى ذويه، فساندته السماء وزكته وباركته.

---

[1]- أساس البلاغة ،(أدبر) ص 182.

[2]- مسعود: حاسي مسعود أكبر منابع البترول في الصحراء الجزائرية ،(اللهب المقدس) ص 66.

[3]- طارق: من سكان الطوارق، للتوسع ينظر اللهب المقدس، مفدي زكريا، ص 66.

وجاء قوله آبَاؤُنَا الصيدا[263]، صيغة اسمية، معانيها معروفة، استعملها مجازا ليعبّر من خلالها عن بطولة أهالي سرتا بقسنطينة، وعن ماضيهم العريق فقال مرحبا بزوّار سرتا ومستعرضا تاريخها الحافل بالبطولات والأمجاد، ومستعملا الكناية ليفتخر بعراقة هذه المدينة وبأصالتها، وما دارت فيها من أحداث ملحمية سجلها التاريخ، وهذه دلالات جديدة أضافها مفدي إلى رصيد معجمه اللغوي:

وانْزَل بدَارَات (سرتا) مُطْرقًا أَدَبَا*****فَبَيْنَ أَضْلُعها آباؤُنَا الصّيدا(263)

وللدلالة على قسنطينة مدينة الثقافة والأصالة والعلم التي احتلت مكانة كبيرة في قلوب الجزائريين، كونها حافظت على العادات، والتقاليد الإسلامية وساهمت في نقلها إلى الأجيال، فيكفيها فخرا أنها أنجبت العلامة عبد الحميد بن باديس مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لعبت دورًا كبيرًا في قهر العدو والتصدي له، وفي مدينة قسنطينة انطلقت ثورة أحمد باي ضد العدو، فكل من يحلّ بها لابد أن يبدي احتراما وإجلالا وخشوعا أمام قداستها.

وورد وأَغْضَب غَضْبة لَيْث(القَنَال)[347]، وأَذْكر(بنزرت) و(السّاقية) وليث(القنال) [347] ، صيغة اسمية مضافة، والليث معروف وهو ملك الغابة، و(القنال) هي قناة السويس بمصر التي اعتدى عليها الأعداء في سنة 1956، والملاحظ هنا أن الشاعر ملم بالأحداث التي تجري في الوطن العربي، ويعيشها ويتفاعل معها، وشبه نفسه بالليث الذي سينقضّ على كل من خرج عن طاعته، واستعمل هذه اللفظة في غير سياقها لتعطي دلالة جديدة وهي قوة البطش والشجاعة سواء في المغرب العربي، أو بلاد المشرق فالدور آت على الأعداء فقال:

وأَغْضَبَ غَضْبَة لَيْث (القَنَال)*****وأَذكَر (بنزرت)[1] و(السّاقية)[2](347)

فأحداث الأمة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب تحزّ في نفسه وتجعله ينتج دررا فريدة من نوعها ولا يصل إلى مثل هذا المستوى إلا أمثاله من الشعراء الذين اتسموا بالموهبة، والقدرة والخبرة والتألق ونتيجة إلى مقدرة الشاعر، استطعت استنباط العديد من المعاني الجديدة زادت معجمه اللغوي قوة وثراء.

ووظف وأَحْفظ لمصر (قناة في حشاشتها)(299)، جَرَى بها قَبْل أَن يَجْري البُخَار دَمُ(299)، صيّغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وجرى بمعنى اندفع في السيرّ، والسفينة، والنّجوم، والشمس سارت[3]، وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[4]، ولمصر مكانة كبيرة في نفس الشاعر حيث قال مفتخرا بأمجادها، ومستعملا الكناية للدلالة على شجاعة أهلها الذين حرّروا القنال وبسطوا عليها سيطرتهم.

وأَحْفظ لمصر (قَنَاة) في حَشَاشَتهَا*****جَرَى بها قَبْل أَن يَجْري البُخَار دَمُ(299)

وللدلالة على ثوّار مصر الأشاوس الذين تصدّوا للثلاثي المعتدي، وفكّوا قيود القنال مصدر رزقهم ومعبر سفن العالم، حيث اختلطت مياهها بدماء الشهداء الطاهرة، وربط الشاعر مرة أخرى أحداث مصر بثورته المقدسة التي

---

[1]- بنزرت: مدينة بتونس مشرفة على البحر، ويخرج منها كل شهر صنف من السمك لا يشبه السمك الذي خرج في الشهر الماضي، افتتحها معاوية بن حديج سنة 641هـ وكان معه عبد الملك بن مروان، (معجم البلدان، بنزرت) ج1ص 500.

[2]- الساقية: ساقية سيدي يوسف بالحدود التونسية الجزائرية، اعتدت عليها فرنسا واختلطت فيها دماء الجزائريين بأشقائهم في شهر فيفري 1958، للتوسع ينظر، اللهب المقدس، ص 347.

[3]- المعجم الوسيط، (جرى)ص 119.

[4]- سورة ياسين الآية 38.

أرسلت موجاتها عبر الأثير إلى مياه النيل والبحر الأحمر، وعملت على شحذ الهمم ورفع المعنويات.

وجاء ذكره سَلْ جَرْجَرا تُنْبئكَ عَن غَضَباتها(66)، واسْتَفْت شليا(66) صيّغ فعلية، وسَل من السؤال، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النبأ الْعَظِيمِ ﴾[1]، وتُنْبئُك بمعنى تُخْبرك، واستفت صيغة أمر بمعنى سأل رأيه في مسألة[2]، أما واخشع (وارشنيس) صيغة أمر من الخشوع والذل والخوف وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلا هَمْسًا ﴾[3]. الأصوات بين الشدة والهمس، استنطق من خلالها الشاعر، العديد من المناطق التي دارت فيها معارك طاحنة بين الثوار والأعداء، واستعمل الكناية ليعبر مجازا عن هول الحرب وقساوتها، وهذه دلالات جديدة دخلت إلى معجمه اللغوي فقال:

سَلْ (جَرْجَرا)[4] تُنْبُكَ عَن غَضَباتها*****واسْتَفْت (شليا)[5] لحظة و(شَلَعْلَعا)

واخْشَـعَ (وارْشَنيس)[6] إنّ ترابها***** ما انْفَكّ (للجند المعطّر) مصرعـا

فالجبال شاهدة على ما دار فيها من ملاحم وأمجاد، بمجرد ذكر أسمائها تستحق منا الانحناء، فهي وعرة المسالك ومتشعّبة، لكن المجاهدين استطاعوا تسلّقها، واتّخذوها معاقلا لهم، يقارعون من خلالها الأعداء، بل أصبحت أعاليها وقممها مقبرة للعدو.

---

[1]- سورة النبأ الآيتين، 1-2.

[2]- المعجم الوسيط ،(أفتى) ص 273.

[3]- سورة طه الآية 108.

[4]- جَرْجرا: سلسلة جبلية ببلاد القبائل، يبلغ ارتفاعها 2308م، ينظر 3654ص Larousse

[5]- شليا: جبال بالأوراس، سجن فيها المجاهدون أنصع صفحات التاريخ، ينظر: اللهب المقدس، مفدي زكريا، ص 66.

[6]- وارشنيس: سلسلة جبلية بالغرب الجزائري، يبلغ ارتفاعها1981م، ينظر 2252ص Larousse، وينظر معجم البلدان، (وارشنيس)،ج6 ، ص354.

وجاء يَقفُ السلاَحُ بهَا خَطيبًا مصْعَقًا(57)، وصعق في القول بمعنى تفنن، وذهب كل مذهب، وتأخذ معنى صوّت كذلك، وضرب وصرع[1]، الأصوات قوية، والصيغة حالية دعا من خلالها مفدي للحسم مستعملا المجاز، وفاسحا المجال للسلاح لكي يقول كلمته فقال:

واعْقد لحَقكَ في المَلاَحم ندوة*****يَقفُ السلاَح بها خطيبًا مصْعقا(57)

فلا مجال للسياسات والندوات والحوارات التي لا تنفع، ولا تأتي بنتيجة مرضية، فالسلاح هوالفاصل الوحيد، لأن الأعداء لا يفقهون إلا لغة القوة، ولا يخشون إلا الرّصاص.

وجاء وأصدع بثَوْرَتكَ الزَّمَان وأَهْلَه(57)، وأَقْرع بدَوْلَتك الوَرَى و(المجمعا) (57)صيغ أمر معانيها معروفة أصواتها تتّسم بالقوة والانفجار، وفيها إيقاع قوي استعمالها مجازي، لأن معظم الألفاظ وردت في غير مواضعها حثّ من خلالها مفدي على التغلب على نكبات الدّهر، والتصدي للمخاطر،وفسح المجال للثورة لتقول كلمتها فقال:

وأصْدع بثَوْرَتكَ الزَّمَان وأَهْلَه*****وأَقْرع بدَوْلَتك الوَرَى و(المجمعا)(57)

فثورة بلاده غزت أرجاء الكون، وأصبح قدوة لأحرار العالم، وخشع لها الجميع، ووقف لها الكل عرفانا واحتراما، وانبهر بها المضطهدون لأن أركانها صلبة، وأسسها قوية، تصدّت للزمن، وهزمت الحلف الأطلسي ودوّنها التاريخ في صفحاته بأحرف من ذهب.

ووظف مفدي كذلك، كم عصفنا بالجبابر(98)، وعصف بمعنى اشتدّ[2]، وفي التنزيل العزيز: ﴿ هُوالَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

[1]- المعجم الوسيط ،(صقع) ص 519.

[2]- المرجع نفسه، (عصف) ص 605.

عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾"[1] صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المتكلم، أصواتها قوية جدّا، وباقي الألفاظ معروفة، وظف المجاز لأن عصفا ورد في غير موضعه ليعبر عن سحق الأعداء ،ومحوهم وهذه دلالات جديدة دخلت إلى معجمه اللغوي فقال في النشيد الرسمي للطلبة الجزائريين

معشر الطلاّب إنّا
قـدوة للثائريـن
كم عصفنـا بالجبابـر..... !! (98)

وللدلالة على الآمال الكبيرة التي يعقدها الشاعر على الطلبة بناء الوطن، وركيزة البلاد، فبفكرهم النيّر سيغيرّون الذهنيات، ويعبّدون الطرقات.

وورد ثَوْرَة التَحْرير مُدي لبَني الجيل يدَا، ومدي صيغة أمر بمعنى البسط، وفي التنزيل العزيز:﴿ وَلَوأَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] اعتبر الشاعر ثورة بلاده كالأم الحنون التي تعطف على أبنائها وتسعفهم وتقف إلى جانبهم وتشجّعهم، وتهدّأ من روعهم، وتمنحهم الأمان حتى يشتدّ عودهم، فكذلك الثورة تعمل على شحذ الهمم، والحثّ على التغيير، وبناء المستقبل وهي الحافز الكبير بالنسبة لأبناء الجزائر فبالرّغم من قساوة الثورة، إلا أنها قامت لإعلاء كلمة

[1]– سورة يونس الآية 22.
[2]– سورة لقمان الآية 27.
[2]– المعجم الموسوعي، لمصطلحات الثورة الجزائرية ص 105

الحق، وشقّ الطريق، ونشر العدل والآمال فقال مستعملا الاستعارة، وهذه دلالة جديدة، استنبطها مما ورد في شعره، عملت على تقوية لغة المعجم:

ثَوْرَة التَحْرير مُدّي

لبَني الجيل يَدا

دَمها أحْمَر فاتر(99)

وللدلالة على الرابطة القوية بين الثورة والثّوار، ومدى التناسق والتناغم الموجود بينهما، وهوتلاحم كبير غير مسبوق، لا يستطيع أيّ كان الفصل بينهما لأن الثورة امتداد للأجيال، وهي قدوتهم، وقوتهم، ومرجعهم، ومثلهم الأعلى وركيزتهم الصلبة، التي سينطلقون منها إلى برّ الأمان.

واستعمل ثَوْرَة الفكْر غدا(99)، يَوْم تَحْرير الجَزَائر(99)، صيغة اسمية مضافة، والثورة هي التغيير الجذري الذي يحدث في العديد من المجالات[2]، وقصد بها الشاعر دور الطبقة المثقفة، في تغيير الواقع إلى الأحسن، وتطهير المجتمع، وتغيير الذّهنيات، والقضاء على الجهل والظلام والانحطاط والتخلف فقال حاثا على المضي قدما في بناء البلاد بالعلم والمعرفة.

واشْهَدي كَيْفَ نَفْدي

ثورَة الفكر غَدا

يَوْمَ تَحْرير الجَزائر(99)

وللدلالة كذلك على قداسة العلم، ودوره الكبير في الرقيّ بالمجتمعات، والاستعمار الغربي كان متفطّنا إلى خطورته، ولهذا السبب بادر عبر أرجاء المعمورة إلى غلق المدارس، ودور الثقافة، وسجن المثقفين والعلماء، ونفاهم، وعرقل مسيرتهم حتى لا يتفطّنوا لما يحيكه من مؤامرات، وشجّع الشعوذة والرّداءة ونشرالجهل والتعفن، والتخلّف والشاعر بدوره رفض المستعمر، وأعطى مكانة كبيرة للعلم والعلماء واعتبرهم منـارة.

وجاء وطَنٌ عَبَّدَ بالأشلاء طُرْقا(128)، وتَجَلّى يَمْلأ الدنيا دويًّا(128)، صيّغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم، ومعظمها معروف مألوف، والأشلاء جمع الشلو، بمعنى العضووبقاياه[1] واستعمل المجاز في عبّد بالأشلاء طرقا، والطريق عادة لا تُسوى بالأشلاء، وهي كناية عن التضحيات الكبار التي قدمها الجزائريون، لبناء وطنهم، وافتكاك الحرية عن جدارة، وتقديم كل ثمين في سبيل العزة والكرامة فقال:

وطن عَبَّدَ بالأَشلاء طُرْقا

وتَجَلَى

يملأ الدُّنيا دويًّا (128)

وللدلالة كذلك على صرْخة الثّوار التي هزّت أرجاء الكون، وزلزلت الدّنيا وأربكت الأعداء، فتراجعوا، أمام هذا العدد الهائل من الفدائيين الذين أقبلوا طواعية لتحيا الجزائر، وهذه معاني جديدة استطاع مفدي إيصالها إلى ذهن القارئ نظرا لتمكنه ومقدرته وانفراده.

وورد وَرِثْنا عصى موسى(306)، فَجَدَّد صُنعها حجانا(306)، فراحت تلقف النّار لا السحر(306)، صيّغ اسمية وفعلية، وموسى كليم الله،وله العديد من المعجزات، وقال الله تعالى : "﴿وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى(17) قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى(18) قالَ أَلْقِها يا مُوسى فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى (20)﴾[2] وجاء في التنزيل العزيز : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[3]، وقال كذلك: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَاهِيَ بَيْضَاءُ

[1]- المعجم أساس البلاغة ،(مادة شلو) ص 337.

[2]- سورة طه الآيات، 20/19/18/17.

[3]- سورة الأعراف الآية117.

لِلنَّاظِرِينَ (108)﴾[1]وحجانا من الحجا وهو الستر، والقفل[2]. أما تلقف، فهي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المؤنث بمعنى ابتلع الأكل، وتلقى الكلام وحفظه بسرعة[3]، ومفدي زكريا يمجد أبطال الجزائر الذين استمدوا قوتهم الخارقة من النبي موسى عليه السلام ومعجزته التي ذكرها القرآن الكريم حيث ألهمتهم، وخاصة عندما تغلب بمعجزة إلهية على فرعون وسحرته، وقارن مفدي بين هذه الحادثة ،وما يجري في ميدان التحرير حيث يعمل المجاهدون على مضغ الجمر ،وابتلاع اللهيب، وهذا تحد، وهذه معاني جديدة دخلت إلى معجم الشاعر اللغوي فقال مستعينا بثقافته الدينية وموظّفا المجاز كناية على خلق المعجزات ،وشقّ الطريق في مناطق مستعصية.

وَرِثْنَا عَصَى مُوسى، فَجَدد صنعها حجانا*****فَرَاحت تَلْقف النَار، لاَ السحْرا(316)

وللدلالة على الصمود والتحدي والثبات، والشعب الجزائري استلهم ثورته من قصص الأنبياء والمعجزات السماوية.

وورد رُعْنا الليالي الحُبْليات فأَجْهَضت(306)، من راع بمعنى فزع[4] صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المتكلم الجمع، الأصوات قوية، استعملها الشاعر مجازا ليعبّر على روح الصمود والتحدي، التي هزمت نكبات الدهر، التي خبأتها الليالي للشعب، وأجهضت مسارها، وغيّرت نواياها، وهذه كناية على النصر الكبير فقال:

---

[1]- سورة الأعراف الآيات107- 108.

[2]- المعجم الوسيط، (مادة حجانا)، ص159.

[3]- أساس البلاغة،الزمخشري، (مادة لقف)، ص570.

[4]- المرجع السابق، (مادة راع)، ص 385.

ورُعْنَا اللَيَالي الحُبْليات فأَجْهَضت*****ولَم نَكُن نَخْشَى من عَجَائبها شَرَا (306)

وللدلالة أيضا على الوقوف في وجه الزمن ومصارعته، ودرأ المخاطر بكل روح مسؤولة وهتك ستار الشر وتغيير حساباته، وهذه دلالات جديدة كذلك عملت على إثراء لغة الشاعر.

واستعمل فكانت لإبْرَاهيم بَرْدًا جَهَنم وتَعَلمْنا في الخَطب أَنْ نَمْضغ الجَمْر(306)، صيّغ اسمية وفعلية وجاء في التنزيل العزيز: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، والخطب بمعنى الأمر الشديد، والجمع خطوب[2]،

وفي التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[3]، ومعظم الألفاظ معروفة، استعملت مجازا، عبر من خلالها عن روح النضال والاستماتة المستوحاة من صمود إبراهيم الخليل عليه السلام الذي نجاه الله بمعجزة من ألسنة النيران، فقال معبّرا عن قهر الأعداء من طرف سلاسة إبراهيم الخليل التي عملت على مضغ الجمر، وهي كناية على الشجاعة الخارقة للعادة التي اتّسم بها الثوّار، فلفظ مضغ ورد في غير موضعه، أنتج من خلاله روح الشجاعة الأسطورية.

وكَانَت لإبْرَاهيم بَرْدا جَهَنم*****فَعَلمْنا في - الخَطْب - أَنْ نَمْضَغَ الجَمْرَا (306)

والشاعر لا يقصد مضغ الجمر، لكن المقصود هوتحدي المخاطر ومجابهتها، فالنار التي كانت ستلتهم إبراهيم الخليل تحوّلت إلى برد وسلام

---

[1]- سورة الأنبياء الآية 69.

[2]- المعجم الوسيط، (مادة خطب)، ص 243.

[3]- سورة الحجر الآية 57.

وبفضل إرادة المجاهدين استطاعوا إخماد النيران والتهامها فزادتهم شعلة وحماسا، وقـوة.

واستعمل وكَلّم الله في (الطور) خفية(306)، وفي (الأَطْلس الجبّار) كلَمنا جَهْرا(306)، والطور بمعنى الجبل[1]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[2]، وخفية بمعنى سرّا، أما الأطلس الجبّار فهي جبال الأطلس أكبر مرتفع في إفريقيا[3]، ولقد احتضنت جبال الأطلس أبطال الجزائر الأشاوس الذين فجّروا الثورة، الأصوات وردت قوية ومزلزلة، وجهرا عكس خفية، وقال الله تعالى: "﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[4] وباقي الألفاظ معروفة، أجرى مفدي مقارنة بين قصة موسى عليه السلام، الذي ناداه الله بالوادي المقدس طوى سرّا، وثورة بلاده التي باركتها السماء جهرا وأمام الملأ، لأنها قامت على كلمة لا إله إلا الله، وأرست الحق واقتلعت الكفر، والعبودية وهذه معاني جديدة زادت معجمه تنوعا فقال:

وكَلَّمَ الله موسى في (الطور) خفية*****وفي (الأطلس الجبّار) كلّمنا جهرا (306)

والشاعر لا يعني التخاطب والتحاور، ولكنه يريد المباركة، والتأييد والتزكية من قبل المولى عزّ وجلّ للثورة الجزائر، وهل هناك أعظم من ثورة

---

[1]- المعجم الوسيط ،(مادة طور)، ص 570.

[2]- سورة طه الآيات 13/12/11.

[3]- معجم البلدان، ج4، ص 292، ومنها كذلك الأطلس الكبير الذي يبلغ ارتفاعه 4165م، والأطلس المتوسط الذي يضاهي 3354م، والمتيجي والصحراوي 2453م، Larousse Atlas

[4]- سورة طه، الآية 7.

الجزائر، ويظهر على هذا البيت سعة ثقافة مفدي ،وتنوعها ،وتعمّقها الشيء الذي جعل من شعره إبداعا خارقا للعادة، نتجت عنه دررا ثمينـة.

الخـاتمـــــة:

تضمنت هذه المجموعة الدلالية، بعض الألفاظ والتراكيب، والصيّغ، التي جادت بها قريحة مفدي زكريا، تغنى من خلالها بثورة بلاده المجيدة، وحث في العديد من المناسبات، على التغيير والنضال، والاستماتة في ميدان الكفاح، وافتخر بالشجاعة الأسطورية التي وقف أمامها العالم كله عرفانا، وخشوعا وإجلالا، ومن بين هذه الألفاظ والتراكيب: والشعب يسبح للعليا على دمه (27)، وفي الشعب بركان إذا انشق صدره (323)، تلقّف ملكا (323)، وفمضى الشعب بالجماجم يبني أمة (15)، وهزّت ثورة التحرير شعبا (31)، وإلى جانب التركيز على روح العزة، والكرامة، والإباء والشموخ، والتحدي مثل: واهتزت في أرض الكنانة خافق (50)، وارتجّ في الخضراء شعب ماجد (60).

واستعمل مفدي كثيرا من الصور البيانية مثل المجاز، والكناية، والاستعارة، التي عملت على تقوية المعاني وخلق دلالات جديدة عملت على إثراء لغة معجمه اللغوي مثل: شموع البلاد في ظلمة الليل (187)، وأغضب غضبة ليث (القنال) (347)، وسل جرجرا تنبئك عن غضباتها (66)، وكم عصفنا بالجبابر (98)، ويظهر من خلال هذه المجموعة مدى إطلاع الشاعر عما يجري من أحداث في الوطن العربي، وربط مصير بلاده بمصير أمته مثل: وارتج في الخضراء شعب ماجد (66)، واهتزت في أرض الكنانة خافق (60)، وفي أرض الجزائر جرح العرب يلتئم (303).

ويظهر كذلك مدى تأثر الشاعر بالثقافة العربية الإسلامية التي تلقاها على يد أساتذته، ووظفها لينتج معاني ودلالات جديدة لم تكن في الحسبان مثل: فكانت لإبراهيم بردا جهنم (306)، وكلم الله موسى في الطور خفية (306)، مستثمرا هذه القصص القرآنية الرائعة لخدمة ثورة بلاده.

قائمة المصـــادر والمـراجـــع:

أولاً: القـرآن الكريـــم

ثانياً: الكتب والدواوين:

I- باللغة العربية:

1- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقارنة سميائية في فلسفة العلامة، الدار العربية للعلوم، المركز العربي، بيروت، الدار البيضاء، د ت .

2- إدريس السغروشني، مدخل للصواة التوليدية، ط1 دار توبقال للنشر عمارة معهد التسيير التطبيقي، الدار البيضاء، المغرب 1987.

3- إليزابيت درو، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه؟ ترجمة محمد إبراهيم الشبابيء، ط1مكتبة منيمنة، بيروت 1961.

4- جون لاينز، اللغة المعنى السياق، ت. عباس صادق، ط1دار الشؤون الثقافية العام، بغداد 1987.

5- حميد الحمداني، القراءة، وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، ط1 الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي 2003.

6- حواس بري، شعر مفدي زكريا، دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1994.

7- رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، محمد محي الدين عبد الدمير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى 1963.

8- زين كامل الخويسكي، في المجالات الدلالية في القرآن الكريم، صيغة "افتعل"، ط1دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1989.

9- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة ت. د. كمال بشر، دار عزي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت.

10- سعيد توفيق، ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002.

11- صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، 2003.

12-

13- عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ط1 دار صادر، بيروت 1992.

14- قتيبة أبومحمد عبد بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط2، دار التراث، القاهرة 1973.

15-عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، ط1 دار جريجر للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2009.
16-عبد القادر الفاسي الفهري، التوليد والنسقية والترجمة الآلية، إعداد أحمد بريسول، وخالد الأشهب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 2001.
17-عبد القادر الفاسي الفهري، المعجمية والتوسيط، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1997.
18-عثمان الميلود، الشعرية التوليدية مدخل نظرية، المكتبة الأدبية، ، ط1شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء 2000.
19-فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبوبكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية المغرب.
20-فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، ت. حميد الحمداني، الجلالي الكدية منشورات مكتبة المناهل، فاس، د ت.
21-كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1، ج3، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر 2000.
22-محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، المطبعة العربية، ط2، 1989.
23-محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، المعرفة الليسانية أبحاث ونماذج، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب 1987.
24-مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، ط3 الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.
25-يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ط3 دار البعث للطباعة والنشر 1987.
26-ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت،1977.

II- باللغة الأجنبية:

27- Julia Kristéva, *Le texte du roman*, Mouton, 1970.
28- Michail Bakthine, *Esthétique et théorie du roman*, Paris, Gallimard, 1978.
29- Pierre Mare de Biasi, *Théorie de l'intertextualité dans l'encyclopédie Universalis,* 1998.
30- Roland Barthes, *The death of others in image musicted essays selected transiated by Stephen,* Britain, Health fantain, 1979.

31- Robert Crosman, "Do readers make meanin'' in The Reader in the text Edited by Susan Suleiman, PUP, 1980.